نقد المشرفي بأسلوب جارح علماء فاس وأهلها، ولم يسلم من نقده حتى الأمير عبد القادر بطل المقاومة الجزائرية، ويبدو أنه كان يحن إلى موطنه الأصلي ولذلك زار الجزائر مرتين الأولى عام 1848م/ 1849م والثانية عام 1877م خلال ذهابه للحج [9].

اشتهر المشرفي بالتأليف ونظم الشعر فخلف وراءه عدد من الدواوين في المدح وكتبا في أغراض متعددة في السير والتراجم، وأدب الرحلة والتصوف وفي النحو والتاريخ والحديث والطب، ومن مؤلفاته إلى جانب "ياقوتة النسب" كتاب"ذخيرة الأواخر والأوائل فيما ينتظم من أخبار الدول"، و" تاريخ الدولة العلوية"، و"الرحلة الجزائرية"، "رحلة إلى شمال المغرب"، "الحسام المشرفي للمهاجر المقتفي"، ويبدو أنه كان معارضا للأمير عبد القادر ولذلك ألف عنه كتابا أسماه " طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار في عتو الأمير عبد القادر وأهل دائرته الفجار"[10]. توفي المشرفي بمدينة فاس، واختلف في تاريخ وفاته بين ثلاث روايات فقيل توفي عام 1893م، وقيل عام 1894م، وقيل عام 1895م.

ثانيا– التعريف بالمخطوط:

1– عنوان المخطوط وتاريخ تأليفه:

بيّن المؤلف في مقدمته عنوان مخطوطه بقوله:"وقد سمّيته "ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة"، ثم قال:" وإن شئت قلت اليواقيت الثمينة الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة"[11]. والمخطوط معروف بالعنوان الأول وهو الأنسب للمخطوط لأن قوله "وفي ضمنها" تعني أن التعريف بالمجاجي جزء من المخطوط، في حين يُفهم من "في التعريف" أن المخطوط كله خاص بتعريف المجاجي.

يتكون العنوان الأول من جزئيتين الأولى "ياقوتة النسب الوهاجة" دلالة على النسب الشريف عموما، والثانية "وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة" للتعريف بالمجاجي، بحيث لم يكتف المؤلف بإفراد هذا الأخير بقسم من الأقسام الأربعة في المخطوط بل ذكره حتى في عنوانه، وهذا إن دل على شيء إنمّا يدل مكانة الشيخ المجاجي عنده هو شخصيا وعند الجزائريين عموما.

أمّا تاريخ تأليف المخطوط فهو سنة 1300هـ، وذلك ما أشار إليه المؤلف في الصفحة الأخيرة بقوله:"وكان الفراغ منه صبيحة الخميس التاسع والعشرين من ربيع الثاني من متمم سنة القرن الثالث عشر بعد الألف."[12].

2– سبب تأليف المخطوط وأقسامه:

ذكر المؤلف في مقدمة مخطوطه أنّ حبه لآل البيت هو الذي دعاه لتأليف كتابه بقوله:"وبعد لما رأيت حب آل النبي من أعظم الوسائل عند الله تعالى، ومن أكبر الخصائل حركني باعث الحب أن أجمع تأليفا يسهم بالتعريف، وينبئ عن على مقامهم بالتشريف " [13].

ولا يستبعد أن يكون لانتماء المؤلف للشرفاء دافعا آخر له للتأليف في موضوع النسب الشريف، لأننا نجده حريصا على إيراد نسب أسرة المشارف أكثر من حرصه على أية أسرة أخرى في غريس، كما نجده حريصا على تبيان اتصال نسبه ببعض الأشراف من ذلك قوله:" ومن أبناء عمنا بفاس المحروسة"، "ومن أبناء عمنا أيضا بالأندلس"، "ومن جدتنا أولاد عرهب الثلاثة بفجيج"، " ومن أبناء عمنا بني عامر أولاد سيدي عفيف الشريف"، " ومن أبناء عمنا في فجيج أيضا بنو زيان" [14].

وفي سياق ترجمة المؤلف للعلامة السيد السنوسي بن عبد القادر أورد قصيدته المتكونة من ثلاثة عشر بيتا في نسب المشارف [15]:

عليه مني صلاة غير مفردة عن التحية أحيانا فأحيانا
تعمه وتعم الآل قاطبة إلى المشارف شيبا وشبابا
قوم به اتصلت كالشمس نسبتهم وامتد فرعهم إليه عيانا
هي الوصية فليحذر عدوكم من سبكم فيرى التوفيق خذلانا

أمّا أقسام المخطوط فقد أوردها المؤلف في مقدمته بقوله:"وقسمته على أقسام أربعة بزيادة مقدمة وخاتمة". ثم ذكر كل قسم بعنوانه، القسم الأول: في نسب النبي صلى الله عليه وسلم، والقسم الثاني: في التعريف بريحانة الرسول مولانا الحسن ابن فاطمة البتول، والقسم الثالث:في التعريف ببعض ذرية الريحانتين وهما مولانا الحسن ومولانا الحسين رضي الله عنهما وأمهما وأبيهما، والقسم الرابع: في التعريف بالقطب الواضح والكوكب النير اللائح سيدي محمد بن علي المجاجي، وفي الحكايات الدالة على تعظيم أهل البيت والأحاديث المؤلفة في حبهم، وخاتمة، ولما انتهى المؤلف من إيراده لتقسيم كتابه قال:"وهذه الأقسام استغنينا بها عن تفصيل الكتاب وتبويبه واستعنا بالله على جمل تراكيبه في ترتيبه" [16].

إنّ إيراد المؤلف لأقسام المخطوط في مقدمته دليل على إتقانه لفن التأليف، ولكن هذا التقسيم على ما فيه من مزايا لا يُغني القارئ عن تصفح المخطوط للاستفادة منه، لأن كثيرا من المعلومات الواردة به لا نستطيع معرفتها من قراءة المقدمة فقط مثل تعريفه لبعض الأسر العلمية الشريفة في إقليم الراشدية غريس.

3- محتوى المخطوط:

- التقاريظ: افتتحت نسخة المكتبة الوطنية بتقريظين: الأول[17] مؤرخ بالثالث جمادى الأولى من عام 1300هـ، وقد ختمه صاحبه بقوله":قاله بفمه ورقمه بقلمه العبد القاصر عن نعت عذرات هذه المقاصر محمد الفاطمي بن الحسين الحسني الصقلي".

وممّا ورد فيه بعد الديباجة:"وقد وقفت على هذا الديوان المسمى "ياقوتة النسب الوهاجة" للعالم العلامة الحبر الفهامة الجهبذ النقاذ ذي الذهن الوقاد سنان لسان الدين المشرفي أبي محمد العربي بن عبد القادر الحسني المشرفي –أدام الله وجوده وأسبغ عليه نعمة وجوده، وأدام النفع به وبتآليفه العديدة التي حاكتها سواعده السديدة– فوجدته وإن صَغُرَ حجما في سماء الأنساب نجما، بل إنَّه البدر التام أو الشمس المصقولة...بل البحر الزاخر القاذف بفرائد الجوهر الفاخر قد تناسقت ألفاظه، واتسقت معانيه، وارتفعت على قواعد البديع مبانيه،...فلله مؤلفه فلقد أجاد ترصيفه وترصيعه وتهذيبه وتبويبه وأحكم أصله وضعا وصنعا،...فجاء في الباب بين الدواوين الكبار تباب لجمعه خلاصة ما لخصته الأحبار"، ثم أورد نظما في إحدى عشرة بيتا افتتحه بقوله:

ياقوتة النسب الشريف نسقت بإكليل لطيف
ولما حوت من ذكر من بودادهم كَمُلَ الحنيف
من سادة في الفضل قد حازوا التليد مع الطريف
أبناء سبط المصطفى من كان للعليا حليف

أمّا التقريظ الثاني[18] فهو أصغر حجما من التقريظ الأول، افتتحه صاحبه بقوله:"الحمد لله، ولكاتبه أفقر الورى وأحقر ما يُرى العباس بن أحمد الأبار...في مدح هذا التأليف الصغير الجرم الكثير القدر" ثم أورد قصيدة في ثلاثة عشرة بيتا افتتحها بقوله:

يا أيها الحبر الشريف المشرفي لله درك من فقيه مصنف
لله أنت قد رصعت جواهرا في جيد صحن من غزال أهيف

– **المقدمة:** بين المؤلف في المقدمة بعد الديباجة سبب تأليفه لكتابه وعنوانه، ثم بين أقسام كتابه، ومنهجه فيه، كما أورد مقدمة أخرى في بضعة أسطر تحدث فيها عن أنبياء الله ورسله عامة افتتحها بقوله:"ولا بد لنا من ذكر مقدمة فنقول أشرف الأمم السالفة أنبياؤها عليهم الصلاة والسلام.."[19].

– القسم الأول في النسب الشريف:

يقع هذا القسم في ثمان صفحات ونصف (من الصفحة الرابعة إلى الصفحة الثانية عشر)، بين فيه المؤلف نسب النبي – صلى الله عليه وسلم– وتناول شيئا من سيرته مؤكدا على أن سلالة آبائه "كرام ليس فيهم مُسترذل بل كلهم سيادة قادة"، وعلى علو شرف والده عبد الله وعلى توحيده، ثم شرع في الحديث عن أجداده عليه الصلاة والسلام، فكان كلما يتطرق إلى أحدهم يذكر خصاله والأحداث المهمة التي شارك فيها قريشا ومواقفه الحسنة، ويذكر أحيانا سبب تسميته باسمه الذي يحمله مشيرا إلى أن نور النبي – صلى الله عليه وسلم– كان باديا

في وجوه بعض أجداده، وقد ذكر أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم- في بعضهم، وكان المؤلف يُصِّر على أنّ أجداد النبي – صلى الله عليه وسلم كانوا موحدين، وأن بعضهم كان على ملة إبراهيم عليه السلام.

استهل المؤلف أجداد النبي –صلى الله عليه وسلم- بجده عبد المطلب، فأشار إلى خصاله الحميدة ووصفه بأنه كان من حلماء قريش وحكمائها، كما تطرق لحادثة أصحاب الفيل، ثم انتقل للحديث عن جده هاشم وبين خصاله الحميدة، ثم تناول بداية العداوة بين هاشم وأمية التي توارثها بنوهما، كما أشار إلى كرم كل من هاشم وأمية ومكانتهما في قريش، كما تناول جده مناف ثم جده قصي، مبينا كيفية انتقال ولاية البيت إليه من يد أبناء إسماعيل عليه السلام ثم لبنيه من بعده، كما تطرق لانتقال ولاية البيت وما يتبعها من السقاية والرفادة والحجابة ودار الندوة واللواء والقيادة، من يد أبناء قصي لغيرهم.

ثم تناول بالتعريف جد النبي –صلى الله عليه وسلم- كعب ثم جده فهر ثم جده النضر، ثم جده كنانة، ثم جده خزيمة، ثم جده مدركة، ثم جده الياس، ثم جده مضر، ثم جده نزار، ثم جده معد، ثم جده عدنان، مؤكدا على أن نسب المصطفى صلى الله عليه وسلم "ينتهي إلى عدنان ولم يتجاوزه"، وأنّ نسب عدنان ينتهي إلى إسماعيل- عليه السلام-. وختم هذا القسم بالإشارة باختصار إلى نسب كل خليفة من الخلفاء الراشدين وسنة وفاته ومدة ولايته وعدد ما ترك من الأبناء.

– **القسم الثاني في التعريف بمولانا الحسن ريحانة الرسول:** يقع هذا القسم في صفحة واحدة (يبدأ من الصفحة الثانية عشر وينتهي بالصفحة الثالثة عشر)، وهو أصغر الأقسام حجما، تناول فيه المؤلف مولد الحسن – رضي الله عنه- ووفاته، وعقبه من زوجته ابنة عمه فاطمة بنت الحسين بن علي، وبعض أبناءه من غيرها، كما ذكر بعض عقب أبناءه، ثم أشار إلى خروج محمد النفس الزكية على العباسيين وقتله من طرف أبي جعفر المنصور، وفرار إدريس بن عبد الله الكامل إلى المغرب واستقراره بوليلى وزواجه من كنزة، وخلافته بالمغرب وقتله مسموما بدسيسة هارون الرشيد، وولادة ابنه إدريس الثاني وخلافته.

– القسم الثالث في التعريف ببعض ذريتهما (الحسن والحسين) المتواتر شرفه:

يقع هذا القسم في خمسة عشر صفحة (يبدأ من الصفحة الثالثة عشر ويستمر إلى الصفحة الثامنة والعشرين)، افتتحه المؤلف بشرفاء المدينة المنورة "وهم جموع ويعرفون بشرفاء البطحاء إحدى عشر رجلا"، ثم ذكر هؤلاء الشرفاء المتوزعون على مصر والعراق والشام وغرناطة والقاهرة وفاس ومكناسة الزيتون والبصرة وشرفاء سجلماسة وشرفاء سوس وشرفاء دكالة والواسطة.

ثم تناول بعض الأمراء الأدارسة منذ تأسيس دولتهم من طرف إدريس الأول، فتطرق إلى إدريس الأول وذكر بعض أخباره، ثم تناول ولاية ابنه إدريس الثاني، ثم ولاية ابنه محمد بن إدريس من بعده وتقسيمه البلاد على إخوته، وكان كلما ذكر أحدهم يذكر ما ترك من الأولاد ويسميهم بأسمائهم، كما تطرق إلى تداول الإمارة بين

الأدارسة بفاس، إلى سقوط دولة الأدارسة في ولاية الحسن الحجام بن محمد بن القاسم على يد موسى بن أبي العافية المكناسي، وضعف الأدارسة وفرارهم " لقبائل الغرب والبربر وهذا هو السبب في تفريق الأشراف"، فانقطعت دعوتهم، وبعد انقراض دولة أبناء العافية رجع إليها الأدارسة.

ثم انتقل المؤلف إلى الحديث عن شرفاء فاس، وشرفاء تلمسان، ثم انتقل إلى الحديث عن شرفاء الشهرة بغريس الراشدية وبيوت العلم بها، فكان كلما ذكر بيتا يتحدث عن أوصافه وخصاله التي عُرف بها ومكانته عند الناس وبين القبائل وصلته بالدولة، وعن زاويته إن وجدت لهم زاوية، ثم يترجم لبعض أفراد البيت من العلماء.

ومن الأسر العلمية بغريس الراشدية بيوتات المشارف وهم: بيت الشيخ عبد القادر المشرفي، وبيت أولاد الأحمر، وبيت أولاد سيدي بوجلال، بيت أولاد سيدي عبد القادر بن محمد، وبيت أولاد البقرة، وبيت أولاد سيدي ابن عبد الحاج، وبيوتات المشارف كثيرة ولهذا قال المؤلف:"ولو ذكرنا بقية علماء المشارف من المتقدمين...والمتأخرين...لملأنا الديوان".

ثم انتقل المؤلف إلى التعريف ببيوتات أخرى غير المشارف ومنهم: بيت أولاد سيدي دح بن زرفة، وبيت أولاد سيدي أحمد بن علي بوشنتوف، وبيت أولاد سيدي الهاشمي، وبيت أولاد سيدي عبد القادر بن المختار، جد الأمير عبد القادر، وبيت أولاد السيد محمد بن يحي مقري الجن، وبيت أولاد سيدي اعمر بن دوبة، وبيت أولاد سيدي عبد الله بن الخطاب بقبيل المجاهر بساحة مستغانم.

- القسم الرابع: في التعريف بالقطب... سيدي محمد بن علي مولى مجاجة وفي الحكايات الدالة على تعظيم أهل البيت الشريف والأحاديث المؤلفة في حبهم". يقع هذا القسم في سبع صفحات ونصف (يبدأ من الصفحة الثامنة والعشرين ويستمر إلى الصفحة الخامسة والثلاثين)، تبدو معلومات المؤلف عن هذا الولي قليلة، ولهذا أطال الحديث في بداية هذا القسم عن الشرف والحسب والنسب ومكارم الأخلاق، ثم تحدث عن بعض شرفاء الأندلس وغرناطة، مشيرا إلى انتقال بعض فروع أشراف الأندلس أثناء طرد المسلمين منها إلى الثغور المقابلة للأندلس ومنهم من انتقل إلى "جبال اترارة ووهاصة بإزاء تلمسان، وملئت منهم الثغور حال نزولهم بها، وامتدت فروع بني حمود في الساحل الوهراني والمستغانمي والرزيوي والتنسي والشرشالي"، ثم تناول نسب محمد بن علي المجاجي، مؤكدا على أنه من شرفاء بني حمود.

كما تحدث المؤلف عن بعض عقب المجاجي في دولة الأمير عبد القادر وخروج بعض زعماء قبائلهم عن الأمير عبد القادر ومحاربته، ثم رجع إلى نسب سيدي محمد بن علي الديني – حسب تعبيره– فتحدث عن صلاحه وتقواه وكراماته واعتقاد الناس فيه، ثم أورد القصيدة التي رثاه بها العلامة سعيد قدورة عندما مقتله، وقد أشار المؤلف إلى وراثة أحفاد المجاجي لزاوية جدهم، وكان المؤلف زار الزاوية سنة 1249هـ، ومن أحفاد الشيخ محمد المجاجي زمن المؤلف سيدي هني بن السايح ونجله الفقيه القاضي السيد محمد بن هني.

– خاتمة في حب آل البيت: تقع في صفحتين، (تبدأ من الصفحة الخامسة والثلاثين وتستمر إلى الصفحة السابعة والثلاثين)، رغب المؤلف في حب آل البيت ونهى عن ظلمهم، مستدلا على ذلك بعدد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

– إهداء المؤلف نسخة من مخطوطه للسيد هني بن السائح المجاجي:

ختم المؤلف مخطوطه بالقصيدة[20] التي بعث بها إلى أحد أحفاد الشيخ محمد بن علي المجاجي، وأشار إلى ذلك بقوله:"وقد بعثنا هذه النسخة لابن القطب الواضح وهلال الدين اللائح السيد هني بن السائح، وأنشدنا صحبتها هذه القصيدة فيه وفي ولده السيد محمد القاضي، فلعل بحر الأشراف يلتقي باليمين، وبكلتا اليدين، ويطالع فيها أنساب الجدين، ويُجيز كاتبها ومؤلفها إجازة النبي الأمين التي هي أفضل من العسجد واللُجين، والدر الثمين"، تتكون القصيدة من ستة عشر بيتا منها ما يلي:

وافتك يا هني بن السايح تحفة	منها يلوح لنا الطراز الأول
...طوبى لكم من وارثين فقد غدت	آثار جدكم إليكم تنقل
هذا كتاب من غد أبيمينه	يعطى الذي لعله يرجى منكم ويؤمل
هذا الذي كشف الغطاء عن نسبة	عن أعين بالغين كانت تكحل
هذا الذي خطت فيه أنسابكم	وسطرت أحسابكم لا تجهل
فاقبل هديتي يا بن هني محمد	منك الإغاثة في الشدائد تسئل
فضجيع جدك الجواد محمد	وهني الحفيد هو الإمام الأفضل

ثالثا– دراسة المخطوط:

1- مصادر المؤلف:

لم يذكر المؤلف في مقدمته مصادره واكتفى بالإشارة إليها بقوله:"واعتمدت في ذلك على كتب أولي الشأن، واختصرت منهم ما تحقق لي يقينه، وتيسر لي بحول الله وقوته جمعه وتدوينه"، ويمكن معرفة بعض مصادر المؤلف وهي التي ذكرها في ثنايا المخطوط، بحيث نجده يشير في بعض الأحيان إلى اسم المؤلف دون عنوان كتابه مثلا:" قال أبو عثمان الجاحظ"، " وقد ذكر ابن القاضي"، " قال الحافظ الشامي وهو من النفائس التي يرحل إليها"، ومن المصنفين الذين اعتمد على مؤلفاتهم الفخر الرازي، جلال الدين السيوطي، ابن رشيق، الإمام أحمد، البخاري، ابن الصلاح.

وفي أحيان أخرى يشير إلى المؤلف وعنوان كتابه الذي اعتمد عليه من ذلك قوله:" وبنوا علي بن عمر كلهم عمرانيون صرح بذلك العلامة أبو أحمد بن محمد بن جزي الكلبي ثم الغرناطي الأندلسي صاحب التفسير في

تأليف له سماه "كتاب الأنوار في ذكر ءال النبي المختار"..." [21]، وفي مواضع أخرى نجده يشير إلى مصادره بالعبارات التالية:" قال محمد بن أحمد المغراوي في تمييز الأنساب"[22]، و"روى أبو جعفر في تاريخه"، " وقال المبرد في كامله" [23] " وذكر أبو عثمان الجاحظ في كتاب البيان والتبيين أنّ " [24]، وذكر " الشيخ زروق في نصيحته وقواعده".

ومن المصادر التي يشير إليها المؤلف: كتاب " أعلام النبوة"، و"سمط اللئال في معرفة الآل"، وكمال البغية، وأحيانا يشير المؤلف إلى مصادرين للمعلومة الواحدة من ذلك ما ذكره في جد الراشدية وانتقاله من فجيج قال:"والسلسلة مذكورة في "الجمان النفيس" فلا نطيل فيها، وذكرها ابن جزي الكلبي المفسر في " مختصر البيان في نسب ءال عدنان" أيضا"[25].

2– اللغة المؤلف ومنهجه:

تبدو لغة المؤلف لغة سليمة بعيدة عن الركاكة إلا في بعض المواضع كالجمع في غير موضعه والتقديم والتأخير، من ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر رسالة عاتكة بنت علي زوجة الحسن الحجام آخر ملوك الأدارسة:" إن زوجي قتلوه أهل فاس ونهبوا دار الملك"، وفي نفس الرسالة تخبر زوجة الحجام عن مقدم زوجها إلى فاس ومحاربة أهلها له:"فبايعوه عدوة القرويين والأندلس"، وفي سياق حديث المؤلف عن وفاة العلامة الحاج عبد القادر بن المصطفى الأحمر المتوفى بمصر "وكان لجنازته مشهد عظيم رثوه علماؤها بقصائد" [26].

وفي حديث المؤلف عن الصفريوي الذي استولى على فاس "ودخل الصفريوي فاس من عدوة الأندلس وامتنع عدوة القرويين من بيعته...فكان الحرب بين عدوة الأندلس والقرويين"، وفي موضع آخر"وأخذ في الفرار الأدارسة لقبائل الغرب والبربر..."، وأوصى موسى بن العافية " بالقبض عليهم حيثما وجدوهم وانقطعت دعوتهم".

ومن الأخطاء التي تلازم المخطوط كتابة " بنو" بإضافة الألف مثل:" بنوا زيان"، "وبنوا عمهم بنوا محمد"، " وبنوا هارون، بنوا موسى وبنوا بكر [27].

أمّا منهج المؤلف فهو المنهج السردي، نجده يذكر الأنساب والأحداث التاريخية ولا يبدي رأيه إلا نادرا، من ذلك إشارته إلى الاختلاف الوارد في نسب الشيخ محمد بن علي المجاجي وترجيحه لرأي على حساب الرأي الآخر[28]، ويبدو المؤلف في هذا المخطوط متمكنا من فن التأليف بحيث نجده يلتزم منهجه الذي رسمه لنفسه وهو الاختصار، بحيث أكد في مقدمته أنه قيد هذا الكتاب على سبيل الاختصار بقوله:"وشرعت في جمعه على سبيل الاختصار"، ولهذا وجدناه يختصر في بعض المواضع حتى أنه لم يعرف بعض الأسر العلمية بإقليم الراشدية مكتفيا بالإشارة إليهم، معللا ذلك بنزوحه إلى الاختصار. وعندما يتطرق المؤلف إلى بعض الأمور التي سبق وأن أشار

إليها يشير إلى ذلك كما في قوله":أولاد عفيف الشريف بقية منهم بني عامر كما قدمناه آنفا" "وأولاد عرهب فرقة بفجيج كما قدمناه آنفا" [29]، وفي بعض المواضع يُحيل المؤلف على كتابات أخرى له أو لغيره ليرجع إليها القارئ ويستزيد في المعرفة، من ذلك قوله:"وبعد انقراض دولة أبناء العافية رجع إليها الأدارسة ثم لمن بعدهم على الدولة العلوية الآن انظر منظومة ابن القاضي تفيدك في ترتيب الدول وعليها في ذلك المعول والله أعلم"[30].

3- القيمة العلمية للمخطوط:

مما لا شك فيه أنّ أهمية أي مخطوط أو وثيقة تاريخية تتجلى في مجموعة من النقاط أهمها على الإطلاق ما يقدمه من مادة علمية جديدة تغني حقل المعرفة التاريخية وتساهم في تجلي الحقائق التاريخية، والمخطوط موضوع الدراسة وإن لم يكن الوحيد في بابه (النسب الشريف) فإنه يتضمن معلومات جديدة في قسمه الثالث والرابع، لأنه يعرف أسرا علمية جزائرية تنتسب للأشراف، ويترجم لعلماء ينحدرون منها، وهو بذلك يثري جانبا مهما من الحياة الفكرية في الجزائر في العصر الحديث سيما وأنّ المادة العلمية التي تغطي هذا الجانب قليلة بل نادرة في بعض الجوانب.

وقولنا هذا لا يعني التقليل من أهمية الأقسام المتبقية، ولكن المعلومات الواردة في القسم الأول والقسم الثاني توجد ضمن كتب التاريخ الإسلامي، وإن كان المؤلف اتخذ لنفسه منهجا حسنا بتتبعه لتراجم أجداد النبي –صلى الله عليه وسلم–، ومما يلاحظ على المخطوط قلة الحشو والاستطرادات فقد التزم المؤلف بموضوعه وهو النسب الشريف فكان منهجه واضح.

رابعا– وصف نسخة المكتبة الوطنية:

– تاريخ النسخ: 15 شوال 1381هـ، موافق ل 28 مارس 1962.

– الناسخ: السيد محمودي البشير بن الحاج قدور بن البشير بن قدور، ورد في نهاية هذه النسخة:" يقول ناسخها عبد ربه السيد الحاج المهدي بن أبي عبد الله نقلت هذه النسخة من أصل مصور من النسخة الأصلية بخط مؤلفها والموجودة الآن بمكتبة الرباط الدولية تحت عدد 2163، وقد سبق أني اطلعت على النسخة الأصلية بخزانة الرباط انتهت من ناقلها عبيد ربه محمودي البشير بن الحاج قدور بن البشير بن قدور بن محمود بن المكي بن البشير بن الجيلاني بن أحمد بن اعمر بن دوبة".

– عدد أوراق المخطوط: 20 ورقة، أو 40 صفحة.

– المسطرة: 240 × 180 مم.

– عدد الأسطر في كل صفحة: 33 سطرا.

– الخط: كتبت هذه النسخة بعناية فائقة بخط مغربي حسن وواضح يقرأ بسهولة.

– الحبر والألوان: كتبت هذه النسخة بحبر أسود، وقد أستعمل الناسخ اللون الأحمر واللون الأخضر واللون الأزرق واللون الأصفر في بعض المواضع كما في التصلية على النبي عليه الصلاة والسلام، والحمدلة، وفي كتابة أسماء بعض الشخصيات التي يترجم لها، أو عندما يكتب أسماء المؤلفين الذين يأخذ عنهم، أو عندما يكتب بعض العناوين وغيره.

– علامات الترقيم والعناوين: وضع الناسخ نقاط بارزة بألوان مغايرة في مواضع الفواصل والنقاط، وكتب العناوين الرئيسية في بعض الأحيان بخط بارز وبألوان مغايرة.

– ترقيم أوراق المخطوط: هذه النسخة حديثة ولهذا تخضع للترقيم بالصفحات، يبدأ الترقيم من الصفحة الثانية بشكل متواصل إلى نهاية المخطوط، ويتوسط الجزء السفلي من كل صفحة الكلمة التي يبدأ منها متن الصفحة الموالية، وقد كتبت الكلمة بشكل مائل، وهي تتوسط خطين مائلين متوازين في أغلب الأحيان.

ترك الناسخ الحواشي فارغة، وكتب المتن داخل إطار متكون من خطين أحدهما باللون الأزرق والآخر باللون الأحمر، ونجد بالحواشي بعض الأحيان بخط يختلف عن الخط الذي كتبت به النسخة تصحيح كلمة أو جملة، أو إضافة جملة أو عبارة للمتن أو ما شابه، كما نجد في الحاشية عند ترجمة بعض الشخصيات " ترجمة فلان".

وكُتب النظم هو الآخر بعناية فائقة فهو يتوسط الكلام المرسل في الورقة، ويوضع أحيانا بين أربعة خطوط عمودية تحد اثنين منها الصدر والأخرى العجز، وأحيانا أخرى يستغني الناسخ عن الخطوط العمودية تلك، ويستبدلها بنقطة بارزة وبلون مغاير في نهاية عجز كل بيت، وأحيانا يستبدلها بوضع نقطتين إحداهما في بداية صدر كل بيت وعجزه.

الهوامش:

1- أبو حامد المشرفي، "ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة". مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 3326.

2– ترك العشماوي عدد من المصنفات في النسب الشريف بالإضافة إلى الكتاب المشار إليه في المتن وهي:"كتاب الاعتبار في نسب النبي المختار والتعريف بأولاده وأزواجه" ويسمى "التحقيق في النسب الوثيق"، و"المختصر في بعض أنساب الأشراف"، ومن كتب التي سطرت بأقلام علماء جزائريين في موضوع النسب" كتاب المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدنا يحي بن صفية". ينظر سموم لطيفة " جوانب من مخطوط كتاب الاعتبار وجواهر الاختبار والتعريف بذرية النبي المختار صلى الله عليه وسلم لأحمد بن عبد الجليل بن عبد العظيم التونسي)، دارسة ضمن المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 6– 2008. ص ص: 140– 157.

3– من العلماء الجزائريين الذين تركوا كتبا في النسب الشريف الشيخ محمد بن حمادوش السجراري. ينظر حمدادو بن عمر، مخطوطات خزانة الشيخ البشير محمودي، مقال ضمن المجلة الجزائرية للمخطوطات العدد الأول، جوان 2003، ص ص: 156– 168

4– نجد ترجمة أبو حامد المشرفي في مواضع متفرقة من مخطوطه ياقوتة النسب الوهاجة، مثلا ص: 19؛ عبد المجيد بن نعمية وآخرون، موسوعة أعلام الجزائر (1830– 1954)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

2007.ص ص: 332– 334؛ يحي بو عزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 1995. ج. 2، ص: 233. – عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات والمعاجم والمشيخات والمسلسلات. بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط2)، 1982. ج2، ص: 788.

5– حول أسرة المشارف ينظر: القسم الثالث من مخطوط ياقوتة النسب الوهاجة، ص– ص: 18–20؛ الزاوي الجيلالي بن محمد المشرفي المعسكري – المشرفي عبد الكريم، نافذة على بعض علماء معسكر (رثاء الشيخ مصطفى الرماصي لشيخه عمرو التراري المشرفي)، مقال ضمن المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 2 و3 (2004– 2005) ص ص: 85– 100؛ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص ص: 232– 234

6– أبو حامد المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة، ص: 19

7– يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج2، ص: 233؛الزاوي الجيلالي، المقال السابق، ص: 97

8– عبد المجيد بن نعمية وآخرون، المرجع السابق، ص: 332 .

9– – الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح: يحي بوعزيز، دار البصائر. (ط1)، 2007. ص: 100، هامش 1.

10– ينظر قائمة بعنوانين مؤلفات المشرفي في موسوعة أعلام الجزائر للدكتور عبد المجيد بن نعمية وآخرين، ص ص: 333– 335.

11–المشرفي،ياقوتة النسب الوهاجة، ص: 3.

12– المصدر نفسه ، ص:37.

13– المصدر نفسه، ص: 3.

14– المصدر نفسه، ص: 18.

15– المصدر نفسه، ص:24.

16– المصدر نفسه، ص:3.

17– المصدر نفسه، ص، ص: 1، 2.

18– المصدر نفسه، ص:2.

19– المصدر نفسه، ص: 3.

20– المصدر نفسه، ص، ص: 37، 38.

21– المصدر نفسه، ص: 17.

22– المصدر نفسه، ص: 31.

23– المصدر نفسه، ص: 30.

24– المصدر نفسه، ص: 29.

25– المصدر نفسه، ص: 18.

26– المصدر نفسه، ص: 21.

27– المصدر نفسه، ص: 18.

28– المصدر نفسه، ص:30.

29– المصدر نفسه، ص:31.

30– المصدر نفسه، ص:17.

شِعر علماء توات من خلال المخطوطات والوثائق بالخزائن التواتية

أ.سرقمة عاشور *

لقد شَهدت منطقة توات على مرِّ العصور التاريخية حركة فكرية وثقافية، امتد إشعاعها إلى الحواضر التاريخية المحيطة بها كبلاد شنقيط والأزواد وفاس بالمغرب الأقصى وغيرها من المناطق الأخرى، وقد أسهمت في هذه الحركية عدة عوامل، مثل الزوايا والمساجد التي لعبت دوراً هاماً في هذا المجال؛ وكذا الطرق الصوفية التي دخلت إلى المنطقة؛ على غرار القادرية والتيجانية والشاذلية...والتي تفرعت عنها بدورها طرق أخرى كالبكرية والبكائية والرقانية والجازولية...وغيرها، وكان الشعر حاضراً في كل تلك المحطات، حيث أبدع علماء المنطقة عدَّة أشعار أسهمت بشكل مباشر وغير مباشر في خدمة الحركة الفكرية والثقافية بالمنطقة، لذلك ظهر مجموعة من الشعراء والعلماء؛ لا يمكن بأي حال من الأحوال ذكرهم هاهنا في هذه الوريقات، ولولا خوف الإطالة والإسهاب لعرضنا لبعض أخبارهم بالتوسع والتفصيل، ولذلك عزمنا على الوقوف عند عينة من هؤلاء الشعراء العلماء الذين كتبوا في شتى موضوعات الشعر، كتبوا في المديح النبوي والرثاء والوصف والتشوق والزهد والتصوف...وغيرها من الموضوعات الأخرى، كما خاضوا جميع بحور الشعر العربي، والذين ما تزال أغلب أشعارهم مخطوطة محفوظة في الخزائن والمكتبات التواتية، وبعضها قد ضاع بسبب الأوضاع الكارثية التي توجد عليها بعض المخطوطات بتلك الخزائن، من عدم توفر شروط الحفظ، ووجودها في أماكن تكون فيها عرضة للسرقة وأيضاً للإهمال خاصة ممن لا يُدركون قيمتها.

ولعل من الضرورة بمكان الإشارة إلى أن شعراء وعلماء توات كتبوا قصائدهم باللغة العربية الفصحى، وأيضاً كتب البعض منهم قصائد أخرى باللهجة المحلية للمنطقة؛ وبالتالي فإن هذه القصائد تدخل ضمن ما يُسمى بالشعر الشعبي أو الملحون؛ وأجادوا في كليهما، وقد اخترنا مجموعة من الشعراء كعينة على ما قام به الشعر شعر علماء توات من خدمة كبيرة لإنماء وتنشيط الجوانب الفكرية والثقافية بالمنطقة، اخترنا الشاعر الشيخ سيدي محمد بن المبروك البودوي، والشاعر الشيخ سيدي محمد إيداوعلي، والشاعر الشيخ محمد عبد القادر الفلاني، والشاعر الشيخ السيد البكري بن عبد الرحمن، والشيخ السيد الزروق.

ولابد من الإشارة إلى أن أشعار علماء توات نجدها في أغلب الأحيان متفرقة في بطون الكتب والمخطوطات؛ وليست مجموعة في ديوان واحد إلا ما ندر، لذلك فعلى الباحث عنها أن يتتبع الكتب والوثائق والمخطوطات التي تناولت ترجمة هؤلاء العلماء؛ وذكرت بعضاً من آثارهم.

* المركز الجامعي غرداية، الجزائر